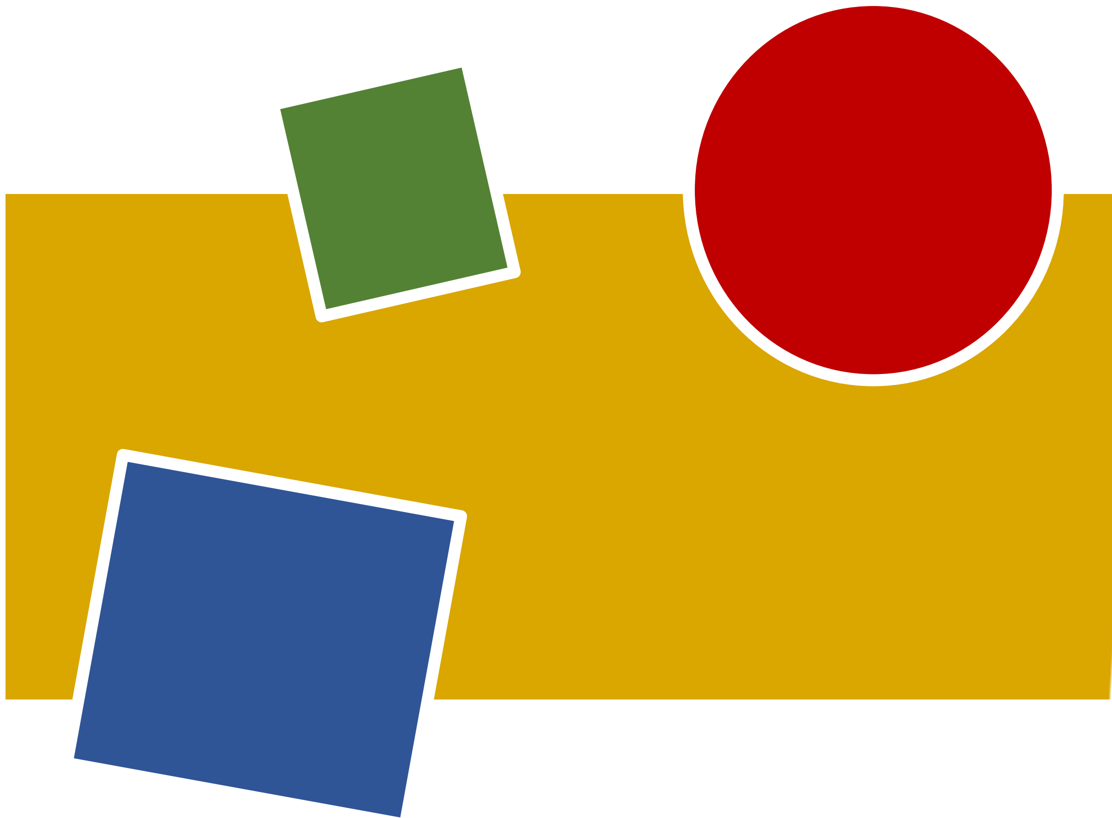
ماجد سليمان
Majed suleiman

مَنامات نُوح عبد الرَّحيم وأحواله



قصص

2024

ماجد سليمان

مَنامات نُوح عبد الرحيم وأحواله

وُلِدَ **ماجد سليمان** عام ١٩٧٧م في الرياض، حاصل على درجة البكالوريوس من كلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض، يقيمُ ويعمل في مدينة السّيح، تَنوّع أدبه بين الشعر والقصة والرواية والمسرحية، من أعماله:

شعراء من عائلتي، مُنتخبات ٢٠٠٢م. **صهيل القوافي**، مُنتخبات ٢٠٠٣م. **نزف الشعراء**، مُنتخبات ٢٠٠٤م. **ملاذ أخضر**، أشعار ٢٠٠٨م. **عينٌ حمئة**، رواية ٢٠١١م. **دمٌ يترقرق بين العمائم واللحى**، رواية ٢٠١٣م. **نجمٌ نابضٌ في التراب**، قصص ٢٠١٣م. **طيور العتمة**، رواية ٢٠١٤م. **قبّعةٌ تطير في الرّيح**، قصائد ونثائر ٢٠١٤م. **الآباء**، مسرحية للأطفال ٢٠١٤م. **الصندوق**، قصة للأطفال ٢٠١٤م. **أجراس**، قصيدة للأطفال ٢٠١٤م. **23 أبريل**، مقالات ٢٠١٥م. **وليمةٌ لذئاب شَرِهة**، مسرحية ٢٠١٦م. **شرق الأرض غرب البحر**، مسرحية ٢٠١٨م. **ما رَوَته كاميليا**، حكايات ٢٠١٩م. **ليلُ القبيلة الظّاعنة**، ملحمة ٢٠١٩م. **نسوة السوق العتيق**، سيرة روائية ٢٠٢٠م. **رأس بين مطرقتين**، مسرحية ٢٠٢٢م. **خان جليلة**، رواية ٢٠٢٣م. **منامات نوح عبد الرحيم وأحواله**، قصص ٢٠٢٤م.

أشرف على إعداد ملف التراث في **مجلة وُجوه الكويتية** عام ٢٠٠٨م. ساهم في إعداد **مجلة الفنون السعودية** ٢٠١٢م. اختير عام ٢٠١٣م للمشاركة في **مؤتمر الأدباء السعوديين** المنعقد في رحاب المدينة المنورة. اختير عام ٢٠١٣م لإقامة ندوة بعنوان **تجربتي في الكتابة** في نادي الرياض الأدبي. اختير عام ٢٠١٤م للمشاركة في ورشة إبداع ندوة التي تنظمها **الجائزة العالمية للرواية العربية** سنوياً للكتّاب المتميزين في أبو ظبي. اختير عام ٢٠١٥م ضيفاً في معرض أبو ظبي الدولي للكتاب. اختير عام ٢٠١٦م عضواً في لجنة تحكيم **جائزة اتصالات لكتاب الطفل** في نسختها الثامنة في الشارقة. اختير عام ٢٠١٧م لإقامة ندوة بعنوان **تجربتي في الكتابة** في جامعة الملك سعود في الرياض. اختير عام ٢٠٢٠م عضواً في لجنة تحكيم مسابقة **لمّتنا سعودية** التي انطلقت بحملة مجلتي سيدتي والرجل بمناسبة اليوم الوطني السعودي الـ ٩٠. اختير للمشاركة في عدة أمسيات شعرية وقصصية.

كُتب حول أعماله عدد من الأطروحات العلمية والدراسات النقدية في جامعات محلية وعربية وعالمية:

بُنية النص وتجليات الهدر الإنساني في رواية طيور العتمة، لحسن أحمامة، المغرب ٢٠١٦م. **القضايا الاجتماعية والسياسية في أعمال الأديب السعودي: ماجد سليمان**، محمد مجاهد، الهند ٢٠١٧م. **تداخل العتبات النصيّة مع البنية الروائية "ماجد سليمان أنموذجاً"**، دلال المالكي، السعودية ٢٠١٩م. **دلالة المكان بين الانفتاح والانغلاق في رواية طيور العتمة لماجد سليمان**، توينخ فاطمة، الجزائر ٢٠٢١م. **الزمن في القصة السعودية "ماجد سليمان نموذجاً"**، عفراء الحربي، السعودية ٢٠٢٢م. **جماليات القُبح في رواية طيور العتمة لماجد سليمان**، البندري المطيري، السعودية ٢٠٢٣م.

ماجد سليمان

مَنامات نُوح عبد الرَّحيم وأحواله

قصص

منامات نوح عبد الرحيم وأحواله

ماجد سليمان (السعودية)

Majed suleiman

تصنيف الكتاب: قصص

عدد الصفحات: ٦٤

القياس: ١٤ × ٢١ سم

تصميم الغلاف والإشراف الفني: ماجد سليمان

الناشر: نشر ذاتي

تاريخ الإصدار: ٢٠٢٤م

لغة الكتاب: العربية

رقم الإيداع: ١٦٧٢٥ / ١٤٤٥

ردمك: ٤ ـ ٩٤٧٧ ـ ٠٤ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

عنوان الكاتب

majedsuleimann@gmail.com

{قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ الْآخَرُ
إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ۖ}

سورة يوسف، آية 36

إلى

مِئات الوجوه التي لم تَعُد تعرفني.

مدخل

إلى من يُهمه الأمـر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته   وبعد

برفقه عدد 35 ورقة، عُثر عليها فوق طاولة بيضاء قصيرة بجانب سرير المجني عليه: نوح عبد الرحيم النَّجدي، هوية رقم 83******10، والتي دوّنها أثناء ساعات صَحْوِهِ في الغرفة رقم 5 بقسم الجراحة، حيث وافاه الأجل قُبيل فجر اليوم الأحد 7 يناير 2024م، بعد مضاعفات مفاجئة لآثار الطعنة العميقة قُرب القلب، والتي وَجَّهها إليه الجاني المقبوض عليه، إثر شجارٍ اشتعل بينهما بعد ارتطام عربة الجاني بعربة المجني عليه أمام متجر للعطارة قبل خمسٍ وثلاثين ليلةٍ من تاريخ هذا الخطاب.

لاطلاع سعادتكم وإبداء الرأي بما يخص الأوراق المُرفقة، والنظر في تسليم الجثمان لذويه لإتمام الدفن وإقامة العزاء في منزلهم الكائن شرق المحافظة.

التوقيع

المنام الأوَّل

رأيتُ في منامي:

أّنّ وباء كورونا عاد مُجدّداً فاختطفت يده المخاتلة قريبي المُقرّب (ف) وأضجعته لأيام على السرير الأبيض، إلا أنّ الوباء لم يُمهله أياماً إضافية في الحياة حتى انطلقت الرسائل الكثيفة من هاتف النّاعي لتُفجعنا بخبر موته الثقيل على نفوسنا التعبة من كمد الحياة وشقائها.

تناقلنا الخبر الحزين، كمن يتناقلون الجمر بين أيديهم، ثم اتجهنا عصراً إلى **مقبرة الثليماء***، تلك المساحة الشّرهة التي ابتلعت الكثير من أقاربنا وجيراننا وأصدقائنا، وربما نحن في يوم ما سنكون ممن ابتلعتهم.

كانت الشمس تضيء الطريق الزراعي تجاه المقبرة، وبعد وقت مائع بطيء وصلنا سُورها الطويل، فدُسْتُ ترابها بخفين جلديين بُنيين، ورغم أن جوربيّ السميكين الأسودين كانا مُلتصقين بقدميّ حتى أعلى كعبيّ، إلا أن التنمّل دَبّ فيهما بعشوائية.

ها هي مقبرة الثليماء ذات الأسوار العتيقة، والمساحة الهائلة، والأبواب الحديدية الكبيرة ذات النقوش الصدئة، حيث القبور على مدّ

البصر، موتى من سنوات طويلةٍ ابتلعتهم هذه المقبرة التي لا تشبع، وغير بعيدٍ منّا مُشيّعون خلف ميتٍ للتو جاءوا به، ونحن كغيرنا نُشيع ميتاً ونُساهِم في دفعه إلى مرقده.

رأيت الوجوه تموج في غبش الحقيقة الشاخصة، وعن يمينهم قريبي المسجّى على آلة الموت، وقد استدارت على جثمانه أكفان الرحيل، وعند رأسه يقف طاقم طبي عُنِيَ بشؤون دفن ضحايا الوباء. هناك كان الوداع الأخير لتتلوه عبارات العزاء المُتداخلة بين المشيعين.

ودّعنا فقيدنا، وصرنا جماعات صغيرة داخلة دائرة من جماعات أخرى تتوغّل في مشاعر الحزن ذاتها، كانت رائحة العزاء الثقيلة تطوف بالجميع تصحبها أصوات تأتأة أقارب الموتى المدفونين للتو، كان تأتآتهم تتعثّر في مسامع المُعزّين والمُواسين، وهي تتمازج مع آخرين ينفُضون أيديهم من تراب القبور، ويساوون أكمام ثيابهم البيضاء بخمول، وهم ينظرون بتأمل باردٍ إلى وجوه المعزين وذوي المتوفين.

وسريعاً دفعني حنيني إلى زيارة قبر جدي لأبي أقصى المقبرة، نظرت إلى القبر الذي ينام فيه جدي من منتصف التسعينيات، والريح تهبّ باردةً على بدني. فجأة سألني حفّار القبور الحنطي النحيل:

ـ هل تزوز أحداً؟

دون أن أفتح فمي، نظرت إلى ملامحه الذابلة ورأسه الأشعث، ثم هززت رأسي بالإجابة، فانتقلت نظراتي إلى معطفه الأزرق الطويل،

فسحب يده من جيبه الأيسر وارتفع دخان كثيف حال بيننا، وصوت شديد العذوبة يُغنّي مُتعثّراً في شجنه:

أَيْــنَ الأَحِبَّــةُ قَــدْ تَفَــرَّقَ جَمْعُهُــمْ
أَطيَــافُهُمْ قَــدْ أَغْمَضَــتْ أَجفَــاني

غَــابُوا فَــلا ذِكــرَى لَــهُمْ أَسْــلُو بِــهَا
تُــبْرِي جُــرُوحَ القَلــبِ مِــنْ أَحــزَاني.

ثم استيقظتُ من نومي

---

*__الثليماء/ الثَّلْمَاء__: تأنيث الأثلم، وهو الفَلول في السيف والحائط وغيره، قال الحفصي: الثلماء من نواحي اليمامة . . . لا تبعد (الثلَيْمَاء) عن مدينة الخرج جنوباً أكثر من عشرين كيلاً، ولم تعد تسمى بغير الثليماء فقط، وكانت قبلُ غير مُصغّرة (الثّلْمَاء). انتقلت من كونها منهلاً فأصبحت قرية ذات نخيل ومزارع، تقع على قارعة الطريق بين (الخرج) وبينَ (البَيَاض) و(هُرَيِّسان) ومرابخ الدهناء.

المنام الثاني

رأيتُ في منامي:

أنّي طريح على حافة قناة **عين فرزان***، والظمأ قد أخمد أنفاسي، وأيبس عروقي وأرخى عظامي وفتك بقوَّتي وهَدّ صبري، وصوت شيخ يُتأتئ ضاحكاً قُربي:

ـ ما الجديد؟ هذا أنت مذ وضعتك أمك تلك الليلة، وأنت ترفض أثداء المراضع، وتصدّ بعناد ضاجّاً المكان ببكائك الصاخب، حتى أيقن كُلّ من حولك أنك ميت لا محالة، أقلها موتك بكاء.

ثم أرخى عصاه الخشبية القصيرة عند قَدَمِه وأضاف:

ـ من حُسن حظك تلك الليلة وأنت في لفافة الرضاعة وبكاؤك متواصل إلى حدّ أثار شفقة من كل حولك، أن امرأة حكيمة من نساء الحي نهضت على نبرات بكائك المُر، وَطَرَقت باب أهلك طرقات مُتتابعة مُتسارعة، وطلبتك، وحين أحضروك لها، أراحتك على ظهرك وكشفت عن صدرك إلى أسفل سُرّتك، وانتزعت من جيبها زجاجة صغيرة خضراء داكنة، وأراقت قطرات زيتية صغيرة عجنت فيه بعض الأعشاب البرية، وهي تنظر إلى دخان بطيء يعلو في ركن غير بعيد، وإذا

بصراخك يهدأ شيئاً فشيئاً بعد أن أفزع وأوهم من سمعه أنه صراخ القانط من الحياة قبل بلوغها. بعدها خمد صراخك تماماً، وبقيت أنفاسك المُتلاحقة تتمهل رويداً رويداً حتى استقرت على طبيعتها والمرأة مُستمرة في إرسال يمناها داعكة وجهك بالماء البارد مُطفأة حرارة دمك النافر على جلدك الرقيق وجمجمتك الصغيرة، حينها وضعتك في حجر أمك وراح فمك الصغير يتلقف قطرات الحليب في نهم الظامئ المنقطع.

وفجأة عَلَى صوت الشيخ ضاحكاً بطريقة غير مهذبة ولا متعاطفة.

ثم استيقظتُ من نومي

---

* **فَرْزَان**: منطقة زراعية بـ (الخَرْج)، تضاف إليها عين كانت تقبل من غربي (الخَرْج)، مما يلي أسفل (وادي نسَاح)، من جبل (مناقد آدم) يشرف على غربي الخرج، ومفيض (وادي نسَاح) فيه .. مما أرجح أن يكون هو (الآدَمَى) التي يعناها جرير في شعره:

يا حبّذا الخرج بين الدام والآدَمَى   فالرمث من برقة الروحان فالغرفِ

المنام الثالث

رأيتُ في منامي:

أنّي في رهطٍ أدلج ليلة السابع من شوال، في رحلة وصلت عند الفجر، وحين كان قُبيل الضحى بلغنا محل إقامة عرب عند **جبل رأس الكلب***، تماماً كما وصف لنا أمير الرحلة قبل ليال. ترجّلنا دفعة واحدة وسرنا خلفه عبر سهل طيني بعد مطر كثيف، وخيولنا تتمهل خلفنا، وقد أصغينا للصمت المحيط بالمكان المُتّسع.

بلغنا القوم، وأناخ أمير الرحلة ناقة حمراء تحمل صناديق خشبية فارغة، كان قد اجتلبها مذ بدأ إدلاجنا من ليال قليلة. نظر فينا الأمير وهو يقرأ ما يشبه التعويذات والأدعية الموضوعة، ثم أطال النظر فينا صامتاً، فغمره العرق وقطع السهل مكملاً سيره ونحن في أثره، فتوقف فجأة وركع على كومة رمل عند رأس قبر يجاوره مجرى للسيل، وقبض قبضة من تراب القبر وَذرّها على كفيه، ثم شرع يحفر بكلتا يديه، فشاركه البعض يحفرون بجانبه.

وفجأة، صاح بصوت مُتألم، بعد أن جرحت صخرة مثلثة حادة باطن كفه، فانتزع الصخرة وقذفها نحونا فتلاشى أغلبنا كما يتلاشى الدخان في الفضاء وهو يُكرّر:

ـ إن البراهين لا تكذب.

لفَّ جرحه وهو يعيد بصوتٍ عالٍ:

ـ إن البراهين لا تكذب.

وأرسل نظراته المُتألمة السريعة إلينا فاستفهم أحدهم بإيماءة دون أن تتحرك شفتيه، فأضاف الأمير:

ـ هناك أعين تدّعي دوماً أنها نائمة لكنها قلقة تراقب مصائرها.

حينها غيّب الظلام ما بقي من حمرة المغيب وغرقنا جميعاً في حُلكة عاجلة كمن انقلب بهم مركبهم في قلب المحيط.

ثم استيقظتُ من نومي

---

* **رأس الكلب**: رأس جبل بارز يُطل على الخرج من الناحية الجنوبية الغربية.

المنام الرابع

رأيتُ في منامي:

أنّي أَفْلَتُّ لجام فرسٍ شقراء وتركتها ترتع في واحة خضراء ساحرة مُلاصقة لـ **جبل الدّام***، وقمت بجمع حطب السَّمْر لأوقد النار بعد أن هدأت ريح كادت أن تقتلعني اقتلاعاً، فجئت بثلاثة أحجار بين الكبيرة والصغيرة، وعلى رسم مثلث نصبتها جوار القدر، ثم أرحت القدر عليها وصببت الزيت وأعددت لحم غزال اصطدته قبل وقت، حينها سمعت صوت عزف ناعم يُخالطه غناء شجي، فأدرت رأسي فإذا بامرأة مضيئة الملامح تنتقل أصابعها النحيلة فوق الأوتار الذهبية بانتشاء وبحركات تشبه اكتشاف معاني الغناء، فتنفس صدري بأنّة عميقة، فأقبل نسوة في طول واحد وتجمّعن حولها، ضفائرهنّ ضافية إلى أردافهن، وفي صدورهن تلمع خرزات ذهبية صغيرة، وقُدودهنّ المرتوية تزهو في ثياب فضفاضة مُتباينة الألوان.

انعَطَفَت إليهن فجأة فتاة دُريّة لم تَرَ عيني مثيلاتها، أرسلت إلي نظرة بعينين دعجاوين كحلاوين لامعتين، في ملامحها مرحٌ وَلَهو، تُغني وترقص منتقلةً بخفة بين النسوة وكأنها أنطقت الزوايا المظلمة،

فالتهبت مشاعر الغناء في النفوس، والتمّ حول الغناء فتيان ورجال وعجائز، وطَرِبَ السامعون لقرع الطبول وهم يكرعون كؤوسهم ويردّدون وراء المغنية بنشوة كأنهم اتفقوا عليها.

انقلبت لحظتي تلك إلى ساحة يُحفّزُها الطرب وتُغذّيها النشوة، حيث تَرَنَّحَ من لم يعرف الترنّح في حياته، وانتشى من فارقته النشوة لدهور، حينها قفز من بين المنتشين فتى فداست رجله في موقد الجمر، ولسع باطن قدمه اليسرى لسعاً حارقاً، فالتقطوه راكضين به إلى طبيب شهير غير بعيد، عندها استحال الطرب إلى لعنات حادّة أطلقتها الأفواه جميعها.

ثم استيقظتُ من نومي

***جبلُ الدَّام**: يُشرفُ على جَوِّ اليمامة ـ مدينة السّيح حالياً ـ من الناحية الجنوبية، وفي سفوحه الغربية تقع عيون الخَرج الغزيرة.

المنام الخامس

رأيتُ في منامي:

أنّ ساعات الليل تقلصت قُرب **المدافن الأثرية***، وأنا مُصغٍ إلى أنين مرضى مطروحين على فُرشٍ من القش والأغصان، تتلألأ أضواء الفوانيس على رؤوسهم التي رضّها المرض من أيام.

وباء يحوم كغربان اتخذت عُلُوّاً منخفضاً وحين تحين فرصتها تهوي لالتقاط طعام أبصرته قبل أن تقذفها الأيدي الجافة بالحجارة وقطع الخشب.

رأيت الظلام الكثيف يبسط ثيابه على المكان وعلى جدران لامسها ضوء شفيف انعكست عليه أجسام مرافقي المرضى وكأنهم أشباح تتباطأ في الليل، فرأيت أني لم أنم، فكلما غَلَب النعاس عينيّ الصغيرتين وأغلقهما رأيت نفسي أسقط من مكانٍ مرتفع وأهوي إلى عمق سحيق كأنه حفرة من نار تتسع كلّما اقترب سقوطي فيها، فأفز من نعاسي وأُجهد بصري في التحديق للاطمئنان على سلامة من حولي.

لاح لي حينها طيفان أبيضان مثقوبان من كل مكان، سألا في صوت واحد:

ـ أيكم الميت وأيكم العليل؟

هَرَب النعاس من بين أجفاني، فنهضت سريعاً ونفضت ثيابي ممّا علق بها من شوك ورمل ورفعت صوتي الجاف:

ـ وما شأنكما أيّنا الميت أو العليل؟

ـ لأمك الويل أجبنا.

ـ لأمكما الويل من أنتما؟ وما تريدان هنا؟

فحال بيينا الصمت فاقتربا نحوي بخطوات بطيئة كأنهما يحكان القاع برجليهما.

ثم استيقظتُ من نومي

---

*[المدافن الأثرية]: (المقابر الركامية) تقع في الجزء الغربي من مدينة السّيح، تُطلّ على عيون الخرج، ويبلغ عددها قرابة ٥٠٠ مدفن، وأخرى في فرزان شمال السّيح.

المنام السادس

رأيتُ في منامي:

أنّي دلفت بين صخور كثيفة جوار **عين الضّلع***، فتمتمت وأنا أفتح قميصي الأسود الفضفاض، حيث كانت رياح الشتاء قد شرعت في العواء، تماماً مثل ذئب أعياه الجوع الطويل، رأيت الرمال الكثيفة وهي تتراشق بالحجارة الطينية وتتبادل روث الأنعام وجلود الثعابين اليابسة، وقع نظري لحظتها على شاهد صخري رفيع نُحتت عليه كتابات مُتداخلة الخطوط، عَمِلتُ جَهْدي لقراءتها ولم أُفلح.

بصعوبة سمعت من بعيد صوت مُنادٍ يشبه صوتاً جاء من عميق السنين، كان صوتاً يتسع شيئاً فشيئاً حتى ملأ الأرجاء، وانتزع أنيني الداخلي، واجترَّ خلفه حزني القديم.

سِرْتُ طويلاً في الليل العميق حتى دخلت خيمة صغيرة تَحَلّق فيها جمع لهم هيئة تشبه الصيادين، فتلفَّتوا سريعاً في بعضهم وهم يتساءلون بنظرات مشحونة بالعجب والدهشة، كيف دخل عليهم هذا الرجل الغريب فجأة وهتك ستر اجتماعهم؟ وقد يكون قدّ اطلع على شيء من أسرارهم وأحاديثهم.

لم يكونوا يعرفون أني من هذه الأرض، وأني غريب في بلاد وجئت إلى بلادي أنزف حنيناً، حينها يبست شفاهي خوفاً من ردة فعلهم التي لا تجافي القسوة، نهضوا معاً وتقدموا نحوي شاهرين بنادقهم الطويلة ومن خلفها نظراتهم القافزة من أعين اشتد احمرارها.

ثم استيقظتُ من نومي

---

*__عين الضِّلْع__: وهي أكبر عيون (الخرج) وأغزرها، تقد في قاعدة الزاوية من جبل (الدّام) في حضل الجبل تماماً، وكان ماؤها قديماً قريب من سطح الأرض.

المنام السابع

رأيتُ في منامي:

أنّي قبضت قبضة من أثر المدلجين عند **حصن الجَوْن العظيم***،
وأشتمّيت فيها غناء النجديين السالفين، بعد أن فتق الأسى في روحي، وخلتهم سيرفعون أصواتهم بالحداء.

قِفَارٌ بمدِّ البصر، تعوي ذئابها، وقرب أحجارها تتلوّى جوعاً دوابّها، في انتظار مريضٍ يسقط فيستحيل عشاءً لها، أو تائهٍ ظلّ طريقه، فتدفعه يد العطش إلى أفواهها الغارقة في لعاب الجوعِ اللزج.

غير بعيد، رأيت جملين أدهمين عظيمين، يرغيان رغاءً ثقيلاً تصدّه اللزوجة ويرخيه الظمأ، على سناميهما العريضين نُصِبَ هَوْدجان كبيران أحمران، صُنعا من لحاء متين، وكُسيا بحياكةٍ سميكة القماش وغليظة الحدود، شُدت بخيوط غِلاظ، فيهما امرأتان ابنتي عَمّ وُلِدتا في ليلة واحدة، يسوقُ الجملين نحو الشرق عبدٌ أعور العين اليمنى، خصيّ أُسِرَ في ليلةٍ ليلاء.

هناك غير بعيد، فارسان مصابان، محمولان على حصانين أشقرين أعرجين، ومن فوقهما شمسٌ تُريقُ على المغيب حمرةً داكنة، ومن تحتهما رمالٌ ذهبية ساخنة مُشوَّهة بالدم، وهضاب من خلف أخرى،

والفارسان يتحاملان على إصابتيهما محاولان الوصول إلى الحصن، حتى سقطا ميتين جوار عظام بالية مُلقاة جرفها السيل قبل ليال، فاستدار على جثتيهما صوت جهوريّ يقرأُ بخشونة قول المُتلمس:

أَلَـم تَـرَ أَنَّ الـجَوْنَ أَصْـبَحَ رَاسِـيَاً
تُطيـــفُ بِـــهِ الأَيَّامُ مَـــا يَتَـــأَيَّسُ

عَصَـى تُبَّعـاً، أيام أُهلكـتِ القُـرَى
يُطَـانُ عليـه بالصّـفيحِ ويُكْلَـسُ.

فسكت لحظة كمن يُنصت لأمر قادم ثم قرأ مُتثائباً هامساً:

نَبأٌ، أَتَى البَيْدَاءَ مِن حَيْثُ لا تَدْرِي
خَيْلُهُ سُؤْدَدُ المُدْلِجِينْ
صَوْلَجَانُ حُرُوفِهِ مُرَصَّعٌ بِمَاسِ الفَجِيعَةْ
وَسُلَالَةُ الفَخْرِ تَنْدَسُّ تَحْتَ أَثوَابِهِ الرَّثَّةْ.

ثم استيقظتُ من نومي

*جاء في معجم اليمامة: فقد كان الخرج (جو الخِضْرِمَة) وهي قصبة المنطقة ومدينتُها العتيدة وحصنُها المنيع، وحولها الحصن العظيم الذي يقال له (الجَوْن).

المنام الثامن

رأيتُ في منامي:

أنِّي حذو **وادي نسَاح***، أتمهّل سيراً في خلاء مُوحش مُعتم تطويه الرمضاء، وعينان مضيئتان تُطلان من وجه مظلم تحدقان بي. تجاوزت شجرة طلح وعَمَدت إلى سحق أوراقها المتساقطة بقدميّ، وراكلاً ما يعترضني من صلد الحجارة الصغيرة، فتعثرت في جثة وُضِعت في حفرة لم تواري إلا نصفها السفلي بينما النصف العلوي مُمزّق، قد راح وليمة للدواب والسباع والطير، تفور منها رائحة أنتن من مئة جيفة فوق بعضها، فلكزتها برجلي اليسرى فطار منها نَفَسٌ يشهقُ شهيقاً مُتواصلاً لحقته آهاتٌ عميقة، وما أن تجاوزتها حتى نادت نداء المستنجد:

ـ احملني.

ـ . . . .

يبس لساني بين فكّيّ، فكرّرت نداءها بصوت واهن:

ـ احملني.

فأجبتها بخوف أرخى عظامي:

ـ إلى أين؟

ـ لأتفقد ما فاتني في الحياة.

فقلت بلكنة ضائقة نافرة:

ـ لم تعد الحياة لكِ.

فقالت بصوت في حُنُوّ:

ـ الحياة لم تعد لنا كُلنا . كُلنا.

فصحت بها:

ـ لنذهب كُلنا بلا حياة.

فنهضت من ترابها تشخب بالدماء وصرخاتها السريعة تسبق بكاءها فإذا بوحشة الخلاء تتسع.

ثم استيقظتُ من نومي

---

* **وادي نسَاح**: هو وادٍ باليمامة، قال نصر: نسَاح ناحية من جَوّ اليمامة لآل رزان من بني عامر، وقيل: وادٍ يقسم عارض اليمامة أكثر أهله النمر بن قاسط.

المنام التاسع

رأيتُ في منامي:

أنّي أقف في طريق طيني من مطر البارحة، يمتد تجاه **آبار أبي جفان***، وفتى أَمْرد يضرب طبلته رافعاً صوته المبحوح بالغناء:

تُمْسِي نُعَاقِرُ حُزنَنَا المُلْتَفَّ حَولَ مَبِيتنَا

نَرجُو لُعَابَ الأمنِيَاتِ إِلَى مَوَاجِعِنَــا يَصِلْ.

وعن يمينه وشماله فَتَيان أَشعثان أحدهما يحمل سَلّة صغيرة مُلئت فاكهة فاسدة، رائحتها فائحة بنتانة عالية، وهو ينادي بأعلى صوته المُتقطع:

ـ لا ذُقتها ولا شَمَمْتُها.

أما الآخر فيحمل فوق ذراعه قارورة كبيرة يقطُرُ منها عصير عنب لزج وهو ينادي بأعلى صوته الخشن:

ـ لا شَرِبتُه ولا طَعِمته.

سار الثلاثة وهم يتحاشون تندّر الواقفين والمارّين، والأعين الهازئة من خلف النوافذ والأبواب المواربة، وهي تمطرهم بنظرات مليئة بالتّشفي والسخرية، وأخرى نظرات يرسلها التأليب والتوبيخ.

أبطأت أنظر إليهم وهم يبتعدون حتى نهاية الطريق، فلامس شحمة أذني صوت كريه يأمرني:

ـ اتبعهم وكن في رهطٍ هُم سائرين إليه.

وضعت يدي تحت ركبتي وهرشت ساقيّ ثم رفعت جذعي النحيل وهرولت سريعاً وراءهم وهم مُسرعون في طريق يغسلها المطر الكثيف؛ وتناورها الرياح من كل الجهات المفتوحة، يخترقها صوت الفتى الأول مُغنيّاً:

تُمْسِي نُعَاقِرُ حُزنَنَا المُلْتَفَّ حَولَ مَبِيتنَا
نَرجُو لُعَابَ الأمنِيَاتِ إِلَى مَوَاجِعِنَـا يَصِلْ.

ثم استيقظتُ من نومي

---

* **أبو جِفَان**: بكسر الجيم، وفتح الفاء، بعدها ألف، فَنُون ... كأنها جمع جفنة، ولعل ذلك مأخوذ من صفة هذا الوادي تنتثر في مجراه الجبلي قبل أن يصب في السهل قِلات كأنها جِفان تفعمها السيولُ فيحلو منظرها ويطيب مشربُها، مُعطّراً بروائح الشيحِ والقيصومِ والعرارِ.

المنام العاشر

رأيتُ في منامي:

أنّي على قمّة **عارض اليمامة***، أُلقي نظرة مشفقة على مدينتي السّيح وقد غَارت في بطن من بطون الصحراء، واستحالت غريبة على نفسي، فأحاطت بها أشجار رمادية عارية، من أمامها صخورة مُتراكمة بأحجام مُتباينة، ومن خلفها بيوت صغيرة مُتراصة أنهكها القِدَم، وحاراتها بدت مُعتمة مُتباعدة.

حينها وُلِدت رعشة باردة في أطرافي، فانتبهت لسيلٍ مُتّسخ يعبر تجاه الطرف الغربي منها، وجسر يمتد من فوقه باتجاه حيّنا القديم، فعبرته كالهارب أحمل تحت إبطي الأيمن ورقة طويلة خشنة. قلت في نفسي وخطواتي تعبر الجسر:

ـ لن أفرّط في ذكرياتي مهما بدت تافهة.

توقّفت حين شعرت باهتزاز الجسر ثم صحت بما في صوتي من قدرة:

ـ لن أفرّط في ذكرياتي مهما بدت تافهة.

فاصطدمت بي عجوز كبيرة الوجه لها تجعدات مريعة، وعيناها كبيرتان بطيئتان في الحركة، تحيط بهما أجفان ثقيلة، وبيدها عصا معدنية

قصيرة كأني رأيتها في الماضي البعيد، ومن حولها صراخ أطفال مُتقاربو الأعمار يُلاحقون جِرَاءً كثيرة تهرب في الزقاق الطويل المقابل، ورجال بأذقان غير مهذبة يقفون كالجذوعِ اليابسة عند عتبات بيوت قُلِعَت أبوابها.

تَلَفَّتُ في كل الجهات أتبع توسّلات صاخبة أرسلها صوت باكٍ فجأة، فإذا برجال من الشرطة يضربون فتى عشريني، ويبصقون عليه ويجرّونه بوحشية إلى مكان غير بعيد، وهو يسترسل في توسلاته، سرقتُ نظراتي بسرعة مُكملاً عبور الجسر فهبت ريح صاخبة.

ثم استيقظتُ من نومي

*__عارض اليمامة__: أو طويق، جبل في قلب إقليم اليمامة التاريخي، يمتد لما يقارب ٨٠٠ كيلو، على شكل قوس يتجه طرفاه نحو الغرب.

المنام الحادي عشر

رأيتُ في منامي:

أنّي اعتمرت عمامة فاقعة الحُمرة ومضيت أرفل في ثوب شديد البياض عائداً بعد غياب طويل إلى مدينتي السّيح، فدخلتها من جهتها الغربية، وسرت في طريق ضيّقة مُظلمة مُتعرجة إلى الغرب تُؤدي إلى قلب **السوق الداخلي***، مُتجاوزاً جماعاتٍ من العرب والعَجم والأحباش وهم يموجون في باحات وطرقات وممرات السوق ومنعطفاته.

اخترقت أنفي روائح كدت أطير من سحرها، خالطها بخور مُغرٍ يُحفز على السؤال عن بائعه، عندها وقفت عند باب خشبي مائل قليلاً سُدّ بجذع من جذوع النخيل اليابس، تأملته قليلاً ثم واصلت المسير في ممر جانبي مُترب فتوغلت في أكوام الصناديق المتروكة من أيام طويلة، وقد غطّاها الغبار، ومن بعيد رأيت عجوزاً يلمع قرط فضيّ في شحمة أذنها اليسرى وقد خرجت من باب بيتها الطيني الشرقي تصحبها نسوة كأنهنّ من قريباتها؛ يلبسن عباءات رمادية ويضعن على رؤوسهنّ قطعاً صفراء داكنة، ثم وَقَفن في طابور بشري طويل مائل إلى جهة الشمال، عندها جذبتني همهمات كثيرة مُتفرقة وانصرفت عنها.

انعطفت إلى جهة أخرى فخرج رهطٌ من بوابة حديدية كبيرة، بدى لي أنهم عسّاسة، فأومأ لي أحدهم بيده طالباً مني القدوم فتقدمت إليهم عابراً منعطفاً يزدحم بالسَّفَلة والصعاليك، ويعطُّ بروائح أطعمة قفزت من النوافذ المشرعة.

وفجأة اختفى الرهط فور اقترابي منهم، وجاء من ناحيتهم قرع طبول تبعتها أصوات أوتار تضرب بمهارة لم أعهدها في حياتي، لَحِقت بها زغاريد النساء من سطوح المنازل المحطية بالمنعطف.

اجتزت إلى آخر المنعطف بعد أن لففت عمامتي على رأسي ووجهي دون أنفي حتى رأيتهم ينظرون إليّ وكأني شبح خاتل الجميع فجأة.

ثم استيقظتُ من نومي

---

*‏**السوق الداخلي**: عام ٢٠٢٤م يُصبح عمر هذا السوق الشعبي ٧٢ عاماً، وهو من الأماكن الشهيرة والرئيسة لمدينة السّيح عاصمة إقليم الخرج.

المنام الثاني عشر

رأيتُ في منامي:

أنّ حشداً من الناس يتدفق بطيئاً في طريق ضيقة تسبح في لهيب الظهيرة شرق **حي السليمانية***، وباعة خلف بضائعهم المرصوصة ينادون بأصوات لا تُسعّرها الظهيرة إلا ناراً، فوقعت عيناي على دعجاء ذات بشرة ليست ككل الجميلات، تُطل من شباك أيسر الشرفات المشرعة على الطريق، وراحت تبتسم بخجل غامض يغوي الناظرين، لم تكن ابتسامتها سوى حديث عاجل بيننا، قالت:

ـ رسول أم بائع جائل؟

قلتُ:

ـ لا هذا ولا ذاك.

قالت:

ـ أظنك الأول، وفي جيبك وصية جئت لتوصلها.

ارتسمت ابتسامتها الجذّابة، وسلبتني نظراتها الأخاذة، وعصفت بي لحظة من الشوق المجنون وقلت:

ـ وأي وصية يمكن لمثلي أن يؤتمن عليها؟

قالت:

ـ نسمّيه في ديارنا أمانة، وغيرنا يسمّيه وصية.

ثم لوحّت بيدها وجاءتها خادمتها الحبشية بكوب وشربته وأشارت إلي:

ـ ألا نضيفك؟

أجبت مُبتسماً:

ـ لقيت ضِيافتي مذ نظرتُ عينيك وحدثتني شفتاك.

قالت ضاحكة:

ـ إذن أنت عرّاف.

أجبت بابتسامة أوسع:

ـ كلنا عرّافون، ربما كلنا سحرة.

قالت مستفهمة:

ـ وهل ما تحمله تُبشر به أم تُنذر به؟

أجبت:

ـ بحسب ما سأقابل في مسيري هذا.

قالت:

ـ إياك ثم إياك فتأويل الأشياء إنطاقها.

سألت:

ـ ألهذا الحد؟

أجابت:

ـ وأكثر.

قلت ببرود:

ـ لا يثيرني هذا ولا أعتقد بغير النقيض الغالب دائماً.

وفوراً أحكمت خمارها الرّماي الشفّاف حول رأسها ووجهها، عندما خرج شيخ من باب قصير أسفل الشرفة وأرخى كفه مفتوحة لقطرات المطر التي بدأ رذاذها يهيمن على المكان.

ثم استيقظتُ من نومي

---

*حي **السليمانية**: من الأحياء القديمة قُرب السوق الداخلي، والتي نشأت مع نشأة مدينة السيح، وتُشكّل ذاكرتها الأولى.

المنام الثالث عشر

رأيتُ في منامي:

أنَّ الشمس أشرقت باردة على **شارع الخيّاطين***، وراقبتها تسيل بطيئة في صمت الطرقات الضيقة، حينها رأيت الجموع قد بدأت تخرج من وراء ركام الصناديق الكرتونية الكبيرة، خلف طريق محاطة لأجل الأشغال الحكومية، نظرت إلى فتاة بعينين سوداوين كبيرتين، وكان خبثها ظاهراً، رأيتها تنظر في رسم إعلان تجاري عريض المساحة وهي تقول لصاحبتها المقبلة إليها:

ـ هناك أشياء رائعة لديهم.

نَظَرَت إليّ في هدوء حتى صرفتُ نظراتي عنها واستدرت على مهلٍ تجاه الحوانيت المقابلة، وأسرعت صاحبتها تناديها:

ـ لن أترك الفرصة لكِ سأذهب إليهم حالاً.

تجاذبن الرأي بقوة واتجهن سريعاً بين الحوانيت.

بقي حينها من الوقت مُتّسع للظفر بالدنيا، فانحرفت بعربتي إلى حي السليمانية الملاصق لشارع الخياطين، ثم دخلت شارعاً ضيقاً سيئ الأسفلت، وسارت بطيئة إطارات عربتي مسافة قاربت المائة متر أو

تزيد، وعندها عبر سريعاً رجل آسيوي يُهرول خلف آخر، مررت من جانبهما وأَرْسَلْتُ يدي ثقيلةً على بوق عربتي حتى تجاوزتهما، وبعد أن توقفت نظرت إليهما وقد استقلا عربة عتيقة بعد أن فتحا بابها الخلفي من جهة الراكب، وبخفة هبطا على المقعد الخلفي مُغلقاً الأخير الباب سريعاً، فتحركت العربة سريعاً مُطيّرة صغار الحصى، ثم سار بين أزقة حي السليمانية وكأنه يسير دون هدف.

ثم استيقظتُ من نومي

---

*__شارع الخياطين__: من الشوارع البارزة في السوق الداخلي وسط مدينة السّيح، اسمه الرسمي الآن شارع عبد العزيز بن باز.

المنام الرابع عشر

رأيتُ في منامي:

أنّي في حيّنا القديم مُنتصف التسعينيّات، غير بعيد من **نادي الشّعلة الرياضي***، مُهرولاً تحت ليل الشتاء في طريق واسعة ذات أرصفة باهتة الدهان، تحفّها أعمدة إنارة زرقاء ذابلة، وصوت هامس مُتقطع يتبعني وهو يُغني:

"وين انت وشخبارك

يا مغرّب عن ديارك

انا كل يوم

اكحّل ناظري بدارك" **

أصغيت إلى الصوت بحذر وطربٍ معاً، فتباطت هرولتي شيئاً فشيئاً حتى استحالت مشياً سريعاً والصوت يتبعني بالمسافة ذاتها:

"وين انت وشخبارك

يا مغرّب عن ديارك

انا كل يوم

اكحّل ناظري بدارك"

فالتفَتُّ خلفي لأرى امرأة تضفي على جسمها ملاءة خضراء ذات نقوش صفراء، وتغطي رأسها بخمار شديد الزُّرقة، وهي تنظر إلي بعينين واسعتين محاطتين بكحل حالك السواد، وكظبيٍ أحسّ بالخطر تراجعت إلى الوراء، فارتفع الصوت ذاته مُغنياً:

"وين انت وشخبارك

يا مغرّب عن ديارك

انا كل يوم

اكحّل ناظري بدارك".

ثم استيقظتُ من نومي

---

* **نادي الشعلة الرياضي**: أحد أندية مدينة السيح تأسس عام ١٩٦٣م.

** مقطع من أغنية للفنان الكويتي: عبد الكريم عبد القادر ـ رحمه الله.

المنام الخامس عشر

رأيتُ في منامي:

أنَّ الشمس تنشر على كتفي وعنقي وذراعي حروقاً بلا آلام، وأنا أنظر إلى شفير قُرب **روضة السّهباء***، فثنيت إزاري حتى الركبتين، وهرولت إلى قرب الشفير فقفزته إلى الجهة المقابلة، حيث الماء الصافي العذب يضيء على مدّ النظر.

انحنيت وشربت جُرعات كبيرة متوالية، وبكلتا يديَّ غمرت وجهي ثلاثاً، فإذا ببعير أوضح معقول عند نخلة قصيرة، قد امتدّ رغاؤه إلى أبعد ما يمكن، فانعطفت نحوه لأخلصه مما هو فيه، فإذا بصاحبه قد خرج فجأة ووجدني أحاول فك عقاله، فصاح بي:

ـ ألا يجري الدم في وجهك يا هذا، أما ترى أنك تسرق بعيري.

ركض نحوي وأصابعه تحشو بندقيته بالرصاص، وفمه يعلك اللعنات، فقال حين وصلني بعد أن رأيت عينينه الغائرتين وعظام فكيه البارزة:

ـ لن يطيب لك شرب الماء العذب بعد اليوم.

قلت له بعد تردد:

ـ إياك أن تتعجّل قد نكون بعد هذه الحادثة أصدقاء.

سَكَتنا سوياً ثم أضفت:

ـ الرأي قبل أي أمر.

ـ وتظن أن ذلك يروقني؟

أجبته بصوت مُتقطع:

ـ وَلِمَ لا، كل الصداقات الكبيرة كانت وليدة الصدف والحوادث.

ـ إمّا أن أُلقيك أرضاً، أو أُسَلِّمك لأقرب قافلة تَمُرُّ من هنا.

ـ هذا ليس عدلاً.

فأوثق يديّ وسار بي إلى قافلة عابرة إلى الغرب، وسلمني إياهم فعاهدوه ألا يفكّوا وثاقي إلا بعد ليلتين من مسيرهم، وأنا أردد بصوت متقطعٍ عالٍ:

ـ ألا يروقك أن نكون أصدقاء.

ثم استيقظتُ من نومي

****السهباء**: روضة من أكبر رياض اليمامة، تقع شرق مدينة السّيح.*

المنام السادس عشر

رأيتُ في منامي:

أنّي على مهلٍ أسير في **شارع الطواحين***، كمن يُباري ظله حتى لا يُفارقه، فصادفت امرأة في عقدها الرابع، وكأني أعرفها من بعيد السنين، من شعرها المضفور المُشبع بالحناء عطّت رائحة زكية، ابتَسَمَت وابتَسَمْتُ وأدلت خمارها الشفّاف على نصف وجهها فَعطَّت رائحة الحنّاء أكثر، فطنت لصدرها المُغطّى بعباءة زرقاء داكنة إلى منكبيها الصغيرين، وخصل من شعرها الفاحم المضفور تُطلّ صغيرة من أطراف غرّتها.

اخترقت ظلمة المساء طول الممر المائل مُعلنة اشتداد الظلمة، فَعَلَت أصوات الباعة والمشترين، ولمعت في حوانيت الذهب نيران الصائغين، وأضاءت الأقراط والأساور والخواتم في بطون الطاولات الخشبية ذات الأبواب الزجاجية، ودَبَّت حياة الناس في السوق وشوارعه.

أرسلت إليّ المرأة حينها نظرة اختلط فيه الخجل بالسرور داخل عينين واسعتين سوداوين محكولتين باسمتين، فابتسمتُ ببلاهتي المعهودة حين سألتني:

ـ عرّاف؟

قلتُ:

ـ هل تقصدينني؟

قالت:

ـ ومن غيرك؟

قلتُ:

ـ عرّاف وعرّافة في ذات الحال.

ضَحِكَت وَطَوت بين يديها الطريتين ما يشبه ريش النعام، وتبادلنا نظرات مُتأسفة، نظرات كانت أعمق من أحاديث السّمر الطويلة، وأوسع مما تقوله الألسن المتحمّسة، رأيت عينيها تتلألآن بحبّ لم أَرَهُ من قبل.

عصبتُ رأسي بعمامتي البيضاء وقد سكتنا طويلاً بعد أن تركنا للأعين حرية الحديث، فعمّ لُجاج حول المكان، وجماعات تُهامس أخرى، أحاطت بها نداءات أكثر ضجّة حتى تراجعنا كمن احتجّا على ما كان.

ثم استيقظتُ من نومي

* **شارع الطواحين**: من الشوارع البارزة في السوق الداخلي وسط مدينة السّيح.

المنام السابع عشر

رأيتُ في منامي:

أنّي أراقب ركود الضوء على نافذة غرفتي، ثم مشيت حافياً إلى خزانة ملابسي الخشبية، بعد أن نهضت ببطء ثقيل من سريري المعدني، وأدخلت إصبعي الخنصر في أذني اليسرى وحككتها ثم مسحته في منديل كان قُرب وسادتي.

فكرت في البقاء أطول وقت ممكن في البيت، إلا أني تراجعت فغادرته وبي عَرَجٌ جَليّ، وفي طريقي وصلني صخب العاملين المتجمهرين حول حادث آخِرَ الحي، رأيت امرأة تضرب أحدهم بحقيبة يديها، بعد أن جلب صوتها الحاد الناس إلى موقعها، فالتفّ نساء كثيرات ورجال.

ـ لم تُصادف من توبخك أيها الوغد.

أودعت جُملتها هذه مسامع المتجمهرين، بينما بعضهم يشيح ببصره عنها هاربين، فدفعها البعض الآخر للتصالح والمغادرة وترك ما حدث للنسيان، غَيَّرَ الواقف بجانبي من طريقة لباس عمامته الحمراء، ثم رمى صوته الهادئ في سمعي:

ـ اللعين لم يُبقِ شارعاً تسلكه إلا وركض وراءها.

لم أُطق رائحة فمه الكريهة، ولمعان العرق على ذقنه الكثيف، حينها جرفت أصوات المتجمهرين المرأة، بعد أن شعرت بنفورهم من بذاءة لسانها.

وصلت المكان عربة الشرطة، وترجّل قائدها الطويل الحنطي لفهم ما حدث من المرأة وخصمها، وبعد حديث قصير حماسي بين الثلاثة، اصطحبه مُقيّداً إلى عربة الشرطة، بعد أن دوّن أقوال المرأة، ثم أشار للجمع بأن يتفرقوا، وتلاشت الأعين البازغة من فرجات الأبواب والنوافذ، وانتشر الناس في الطرقات وإلى مواقف العربات، وغادرتُ الحادثة مُتلمساً اتجاهي بعد أن سمعت نعوتاً بذيئة صاخبة من امرأتين تتبالادن ما رأينه فيما بينهما.

ثم استيقظتُ من نومي

المنام الثامن عشر

رأيتُ في منامي:

أنّي أقف في طابور مائل طويل من الناس، مقابل مدرستي الثانوية القديمة ـ **المعهد العلمي في الخرج***ـ لا أعلم سبب وقوفي معهم، وفي أول الطابور بيت طيني بنوافذ خشبية كثيرة. فُتحت نافذة صغيرة من نوافذ الطابق الثاني؛ وأطل منها وجه امرأة ذات قسمات طفولية، وظفيرة تدلت إلى أسفل صدرها وراحت تُشغل أصابعها الصغيرة بأطرافها، وبعد نظرات متبادلة بيني وبينها تذكرتها جيداً، فارتسمت أمامي خريطة الذكريات.

حينها تحرك الطابور سريعاً حتى جاء دوري لأجد المرأة ذاتها تجلس على كرسي جلدي وأمامها طاولة خشبية مستطيلة طُرحت عليها بشكل مبعثر صُحُف كثيرة، فالتقطت واحدة منها فقرأتُ فيها نعياً سُطر بخطوط بارزة في صفحة الوفيات العريضة، فإذا هو نعيها.

ثم استيقظتُ من نومي

---

* تأسس المعهد في عام ١٣٧٤ هـ، ضمن خمسة معاهد أسست في نفس العام.

المنام التاسع عشر

رأيتُ في منامي:

أنِّيّ مُتّكِئ على صندوق خشبي رطب، تحت مظلة شراعية قلب **سوق القَشْلَة*** العتيق، المُقام شرق قصر الملك عبد العزيز التاريخي، وعن يميني وشمالي شريطان غير متوازيين من الأحجار الكرويّة الرماديّة المُبلّلة بمطر توقّف للتو، تُركت عليها بضائع في أكياسها القماشية، وفتيات متقاربات الأعمار يحلبنَ ضروع نوق سود، واستخلصن في أقداحهنّ ما يكفي لسقي صغار يتضاعون قُربهنّ، وعلى مدّ النظر قحط يوشك أن يفترس ما بقي من الحياة، وإحداهن تمدُّ إلي قدحها الصغير مُبتسمة قائلة:

ـ ذُق.

فأحسست بأنفاسي تتناقص شيئاً فشيئاً.

ثم استيقظتُ من نومي

---

*__سوق القَشْلَة__: أو سوق الخميس، من الأسواق الشعبية القديمة، والذي لم يعد موجوداً.

المنا م العشرون

رأيتُ في منامي:

أنّي مُتكئٌ على تلٍّ رمليٍّ صغير يحفّ مجرى **وادي حنيفة*** ومن عمق حمرة المغيب لاح صديق قديم تُوفيِّ قبل سنوات في ارتطام سيارتين. قصدني مهرولاً، فاعتدلت جالساً وحين وصلني جثا على ركبتيه تاركاً راحتيه على فخذيه، فقلت لهُ مندهشاً:

ـ لأُمكَ الويل، أيعود الموتى؟!

رفع رأسه فإذا الدم الذي نتج عن ارتطام السيارتين جليّ في وجهه، هو ذاته الدم الذي رأيته يُلطخ جثمانه تلك السنة البعيدة.

وفجأة اختفى ومعه اختفى صوته، فأدرت بصري بحثاً عنه وسرت أُنادي على طول مجرى وادي حنيفة، فترامى إليَّ نداءٌ يُقطّعه البكاء يخرج بطيئاً من أطلال أبنية مُهدّمة.

ثم استيقظتُ من نومي

***وادي حنيفة**: نسبة إلى قبيلة بني حنيفة التي سكنت فيه قبل الإسلام، يمتد مسافة ١٢٠كليو في وسط نجد من الشمال مائلاً قليلاً إلى الشرق.

المنام الحادي والعشرون

رأيتُ في منامي:

أنّي أوقفت عربتي غير بعيد من **مسجد اليمامة الأثري***، قريباً من بيت صديقي (ع) الذي توفي والده البارحة، وترجلت قاصداً تقديم واجب العزاء.

دخلت مجلس العزاء فانتبهت لثوب والده الأصفر المتسخ وقد عُلّق على مشجب خشبي جانب التلفاز المُطفأ، والمُعزّون يتراشقون بلوم غير مفهوم، عندها نهض صديقي (ع) والتقط ثوب أبيه وجرى به إلى حاوية النفايات الرمادية الكبيرة المقابلة لبيتهم، وألقاه فيها بين ركام غير قليل من نفايات أهل الحي، وَقَفل عائداً.

فجأة سمعنا صريراً عالياً لإطارات عربة مُسرعة، فخرج المعزون ليجدوا صديقي (ع) قد سقط ميتاً، ومراهق أبرص الوجه يقف يسار الحاوية مُنتشلاً الثوب ويده مدسوسة في جيبه الأيسر.

ثم استيقظتُ من نومي

***مسجد اليمامة الآثري**: الأكبر بعد الحرمين الشريفين وبُني في العصر العباسي.

المنام الثاني والعشرون

رأيتُ في منامي:

أنّي دخلت **بيتنا الطيني القديم*** غرب حي العزيزية، وطفتُ بحجراته وممراته وباحته الصغيرة، ثم صعدت الطابق الثاني وطفت بغرفه وشرفاته، وهناك في غرفة شرقية عثرت على جِرَار زجاجية طويلة الأعناق مملوءة إلى نهايتها ماءً بارداً، وغير بعيد عنها وُضِعَت قدور أُترعت زيتاً تسبح فيه عناكب سود كثيرة، ثم تراجعت وأتممت طوافي حتى صعدت إلى السطح، وراقبت من أعلاه امتداد الحي لأرى مزارع النخيل الباسقة بمد النظر، ومن خلفها تقوم عشر هضاب متباينة تغطيها صخور بركانية صغيرة يلوح عليها ما يشبه الدخان.

ثم استيقظتُ من نومي

* بناه جدي لأبي من الجص والطين في الستينيّات الميلادية، وفيه نشأت عائلتنا.

المنام الثالث والعشرون

رأيتُ في منامي:

أَنِّي أمشي بخطىً بطيئة بين بيوت حيّ قديم أعرفه، وخفقات قلبي تتصاعد ثم تهدأ ثم تعود وتتصاعد، رأيت مئات الوجوه التي تعرفني وأعرفها من قبل، تداخلت نداءاتهم المتحشرجة، وبعضهم سمعت استغاثته الثقيلة، وجُملٌ غاضبة، وأخرى ساخرة، وأصوات خليطها من الضحك الصارخ والبكاء المُر.

لاحقتني الوجوه ذاتها، وأنا بالكاد أقتلع قدمي من طينٍ داكنٍ ثقيلٍ يُمسك بهما، رأيت نفسي وقد وقفت نهاية الحي، وعلى طرفه الأيمن وُضِعَت طاولة قصيرة، إحدى قوائمها ربطت بسلك كهربائي، وطرف سلك آخر يلتف حولها، فكرت بالمتابعة هرولة والخروج من الحي سريعاً، انتبهت لكائن لزج في يدي، فككته فسقط واختفى. قاسيت ضجيجاً يجيء من خلفي ولا أرى أصحابه، وعادت الأصوات ذاتها، فهرولت نحو الطاولة وركلتها بقوة فسقطت، وسقطتُّ من بعدها بأمتار.

ثم استيقظتُ من نومي

المنام الرابع والعشرون

رأيتُ في منامي:

أنّ قريبتي (هـ) ضمن ركّاب حافلة صغيرة تذهب في شوارع الأحياء القديمة ليلاً، فتوقفت عند مدخل الحيّ، ونزلت حاملة لفافةً من القماش الأبيض، ومشت تجاه البيت، رفعت رداءها عن الماء النجس الجاري من فتحات مجرى جدار طينيّ لبيت قديم، كان الظلام يسدّ كلّ شيء حيث بيتها يقع في آخر الحيّ. أناس يقطعون الحيّ مشياً في صمت مريع، وجوههم غاضبة الملامح، وصلت البيت فإذا بنساء يلبسن الأبيض ويحملن بأيديهن ورداً أبيضاً، نادت:

ـ هل من أمر؟

لحظتها خَرَجَت أمّها وخلفها أخواتها في ملامح نافرة، رأتهنّ يذهبن بعيداً وخلفهنّ رجالٌ بأيديهم فؤوس تلمع في العتمة، وفجأة أتى صوت انفجار فتساقطت عند قدميها قطع لحم أمها وأخواتها وعظامهنّ المحروقة.

ثم استيقظتُ من نومي

المنام الخامس والعشرون

رأيتُ في منامي:

أنَّ نسراً بثلاثة رؤوس يقف في الزاوية الأشدّ عتمةً، وكلّ رأس ينظر في جهة وينخفض ويعلو بعكس الآخَرين، سألت بخوف: أنسرٌ ما أرى؟! التفتت الرؤوس الثلاثة إلي، فرفع جناحيه الأشهبين، كان طويل الرقبة ضخم المناقير، حدبته شديدة، وله مخالب من الخشب وساقان قصيرتان يغطيهما شعرٌ أبيض كثيف، تخرج كلّ ما حرّك جناحيه رائحةٌ أنتن من الجيفة.

استويت مكاني خائفاً، وراح يقفز بيني وبين (م)، ولخبط أرجله صوت كانفجار البالون، أهشّه عنّي كلّما اقترب، ولكنه لا يستدير عنّي إلا وينفخ بريحٍ كريهة، من كراهتها أكاد أُغمى، رأيته يتّجه إلى (م) وينقر هامته، ويأكل الرأس الأوسط من دماغه، ثم يمسك الرأسان الآخران بمنقارهما عضداه ويطير به من النافذة، خارجاً بعد أن كسر سياجها، وحدودها الأسمنتيّة.

ثم استيقظتُ من نومي

المنام السادس والعشرون

رأيتُ في منامي:

أنّي بين جدران السجن السوداء ذات الصدوع والأوساخ، وصوت امرأة ينهمر عَلَيّ من أعلى، رفعت رأسي مرعوباً، كان منظراً مَهُولاً: امرأة عارية معلّقة من أثدائها بخطاطيف فولاذية، أحشاءها تتدلّى من فوق سُرّتها كان صراخاً يَدُكُّ أرض روحي دَكّاً، لم أتَنبّه لخيوط دمعي التي قَطَعَت أخاديد وجهي، وقفتُ فَزِعاً حاولت الهرب، ولكن من أين؟ ضوء النافذة بدى شحيحاً، أُحسّ أن أنفاسي الشديدة سَتَخْلَعُ معها ضلوع صدري من شِدَّة شهيقها.

سِرْتُ خطوتين فانزلقتُ في ماء أحدثه تَسَرّبٌ يقطر من السقف البالي، ارتطمتْ مؤخرة رأسي بأرضية السجن.

ثم استيقظتُ من نومي

المنام السابع والعشرون

رأيتُ في منامي:

أنّي أخطبُ أمام أطلال سور مُهدّم، والتفّ حولي المارين والعابرين والمتفرجين، وأنا أقول:

أيها الناس، من ضاعت نفسه فليحصي دروبه التي انطلق منها، ومن ثقلت نفسه فليتخفف من أحمالها وكبير آلامها، ومن خفّت نفسه فليشدّها إلى القاع رويداً ولا يكلّفها شيئاً، فإني أراكم تُصرّون على نفوس ضائعة منكم اليوم، وأخرى أعيتها أثقالها، وأخرى تكاد الخِفّة أن تطير بها عالياً كطيران المجانين في حُجرات المشافي، أوصيكم أن تتحسّسوها كما تتحسّس الأمهات أطفالهنّ.

وبعد تمام خطبتي غمغموا بينهم وأَسَرّوا في نفوسهم، وتفرقوا فيما يشبه عدم الرضى عمّا سمعوه.

ثم استيقظتُ من نومي

المنام الثامن والعشرون

رأيتُ في منامي:

أنّي جالس بين شيخين أبرصين أقرعين أعورين، أحدهما يُطيل الوقوف على نافذة صغيرة شرقية وهو شارد النظرات في **جبل فرزان***، والآخر يُهرول ذاهباً آيباً في الممر الرخامي الطويل العابر أمامي وكأنه يلاحق طيفاً لا يُرى، فجأة انقطع التيار الكهربائي وبدت مصابيح الإنارة تومض حتى الاحتراق، وتوالت طرقات سريعة على باب غير بعيد وصوت من الخارج:

ـ تهزآن بالنور ولا تشعران.

حينها أُغلقت النافذة والتحم الشيخان كطيف ضبابيّ وتلاشى سريعاً في الممر الرخامي وصدى الصوت من خلفهما:

ـ تهزآن بالنور ولا تشعران.

ثم استيقظتُ من نومي

* تقدّمَ ذِكْرُه.

المنام التاسع والعشرون

رأيتُ في منامي:

أنّي أقذف جريان **وادي السهباء*** بصغار الحصى، وبعد صمت مريع أرسله الظلام؛ سمعت عراك السباع وقد نبشت قبر (خ) وخرج يتعثر في الذي بقي من أكفانه سنة دفنه، وجاءني يمشي بطيئاً وأعضاء جسمه تتفتت تباعاً. وقفت مُرتجفاً تحت مطر الصمت الغزير، ثم صحت به:

ـ من الذي فعل بك هذا؟ أما كنت في العالم الآخر؟!

أبطأ صامتاً ونظراته لم تفارقني، وفجأة انقطع صوتي، وتلاشت ملامحي بعد أن طحنها الخوف، حين استحالت ملامحه سواداً وهو يشق بالي أكفانه، ويشدُّ شعر رأسه، ولسانه ماضٍ في لعنٍ ووصفٍ قبيح لي، فاقتادني من معصمي ومضى بي إلى موته.

ثم استيقظتُ من نومي

---

* تقدّمَ ذِكْرُه.

المنام الثلاثون

رأيتُ في منامي:

أنّي واقف أمام **بيتنا الطيني القديم*** غرب حي العزيزية، و(ف) زميل دراستي الثانوية، شاردٌ في أزقّة مظلمة، تتبعه خمسة أشباحٍ في ثيابٍ من الضوء الأزرق، يظلّلونه من مطرٍ فضيّ يتساقط لزجاً كزبد الجمال، وهو يحمل في يديه رمّانتين غير ناضجتين، وينادي في الأزقة المتخمة بالظلام:

ـ خذوا دمي، خذوا لحمي وعظمي، أُقلُوا شحمي على وهج الجمر.

ثمّ يُتبعها بضحك هستيريّ رفيع جداً، تلتصق به وَلْوَلَة الأشباح وَهَلْهَلة ثيابها الضوئية خلفه، ثم يجلس على كرسيٍّ من الجماجم أمام طاولةٍ من العظام مُدّت عليها أسفارٌ طويلة، ليقرأ منها أخباراً عن العذاب البشريّ كُتبت بحبرٍ غليظ الخط.

ثم استيقظتُ من نومي

---

* تقدّمَ ذِكْرُه.

المنام الحادي والثلاثون

رأيتُ في منامي:

أنّي تقرفصت على مرتفع عن الأرض عند **المدافن الأثرية***، وبيدي اليمنى أطوي ورقة صفراء من تقويم العام الميلادي، وقد تمزّقت أطرافها، وتلاشت بعض سطورها، وقرأت بصوت بطيء هامس تاريخ اكتمال عقدي الخامس، وبيدي اليسرى أُلاعب فصيل ناقة فاقع الصُّفرة، وفجأة أفلت مني مُستجيباً لرغاء ترامى من خلف مرتفعٍ مُحاطٍ بالماء، ظناً منه أنه رغاء أمه، فلَحِقتُ به محاولاً إبقاءه، وإذا بالمرتفع يبتعد كسفينة تشق الماء، والفصيل تتناقص أطرافه قبل أن يصله.

ثم استيقظتُ من نومي

* تقدّمَ ذِكْرُها.

المنام الثاني والثلاثون

رأيتُ في منامي:

أنّي حاسر الرأس أهرول قاطعاً **وادي نسَاح*** من شرقه إلى غربه، فلاطفت أنفاسي هبوب باردة عذبة، امتزجت بضحكِ فتياتٍ يتهامسن قريباً منّي، فإذا برجلٍ أعرفه يقف خلف ملكٍ يُنادي جلّاديه وزبانيته:

ـ قربوا النطع والسيف.

فاقتادوني حيث يقف الرجل، ليخطفني كما تخطف مناقير الطير سمين الفرائس، وتسافر بها إلى أعمق سماء.

ثم استيقظتُ من نومي

---

* تقدّمَ ذِكْرُه.

المنام الثالث والثلاثون

رأيتُ في منامي:

أنِّي بجانب **عين الضّلع***، أُرافق شيخاً وقعت عيناه على جُند يُنزلون حكم الإعدام شنقاً بابنه الذي لم يُنصفه القضاء، ثم تدلّى كالخرقة لتحيط به الأصوات النادبة، فعاد الشيخ إلى مخدعه باكياً، ونفسه تكاد تتفتت حزناً، ليمكث عليلاً لأيام، بعد أن لازمته صعوبة النوم لليال طويلة، فصورة جثة ابنه المتدلية تشاغل عينيه، وصوت استجدائه ما زال يطنّ في سمعه.

ثم استيقظتُ من نومي

* تقدّمَ ذِكْرُها.

المنام الرابع والثلاثون

رأيتُ في منامي:

أنّي مُمدّد بين بحرين أحمرين، تُحيط بي قبّتان خضراوان، ومن خلفي نسوة يَنُحْنَ وَيَهْرُشنَ أعجازهنَّ، وإذا بِيَدِ شيطانٍ زرقاء تمتَدُّ وتخطفني.

ثم استيقظتُ من نومي

المنام الخامس والثلاثون

رأيتُ في منامي:

أنّي على أرضٍ تتقيأ الظَّلَمةَ والحسّاد، أرض وقف على إحدى تلالها غراب النفاق، وَبَقَرَ رأس التَلّ ففاضت أعين المنافقين منه.

ثم استيقظتُ من نومي

خاتـمـة

بَيـان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

إشارة إلى خطابكم السّري رقم 3091 بتاريخ 7 يناير 2024م، والمرفق معه عدد 35 ورقة، المعثور عليها فوق طاولة بيضاء قصيرة بجانب سرير المجني عليه: نوح عبد الرحيم النّجدي، صاحب الهوية رقم 83******10، نحيطكم علماً بصدور تقرير اللجنة المختصة بقراءة الأوراق، مفيدة أنه لا يوجد في أيّ من الأوراق ما يتطرق إلى علاقة الجاني بالمجني عليه، أو يُلمّحُ أو يسرد أدنى إشارة إلى وجود سوء تفاهم قديم أو نيّة مُبطنة عند الجاني، ممّا يُؤكد صدفة اللقاء الأول بين الجاني والمجني عليه تلك الساعة، ووقوع الجريمة دون سابق معرفة أو علاقة ناشئة، وأضافت اللجنة أن الأوراق سرد إنشائي غير واضح المقاصد ولا يمتُّ للحادثة بصلة.

عليه نفيدكم قيامنا بإلحاق كامل الأوراق بملف القضية وإحالتها إلى الجهات المعنية لإكمال ما يلزم حتى صدور الحكم، آملين منكم الإيعاز لمن يلزم بتسليم الجثمان لذوي المجني عليه ليتسنى لهم إتمام الدفن، وإقامة العزاء في منزلهم الكائن شرق المحافظة.

التوقيـع

فِهْرِسْت

[**مدخل** ـ المنام الأول ـ المنام الثاني ـ المنام الثالث ـ المنام الرابع ـ المنام الخامس ـ المنام السادس ـ المنام السابع ـ المنام الثامن ـ المنام التاسع ـ المنام العاشر ـ المنام الحادي عشر ـ المنام الثاني عشر ـ المنام الثالث عشر ـ المنام الرابع عشر ـ المنام الخامس عشر ـ المنام السادس عشر ـ المنام السابع عشر ـ المنام الثامن عشر ـ المنام التاسع عشر ـ المنام العشرون ـ المنام الحادي والعشرون ـ المنام الثاني والعشرون ـ المنام الثالث والعشرون ـ المنام الرابع والعشرون ـ المنام الخامس والعشرون ـ المنام السادس والعشرون ـ المنام السابع والعشرون ـ المنام الثامن والعشرون ـ المنام التاسع والعشرون ـ المنام الثلاثون ـ المنام الحادي والثلاثون ـ المنام الثاني والثلاثون ـ المنام الثالث والثلاثون ـ المنام الرابع والثلاثون ـ المنام الخامس والثلاثون ـ **خاتمة**]

مَنامات مُتخيلة، محورها أماكن حقيقية من مدينة السّيح النجديّة عاصمة إقليم الخَرْج، عبر قصة إطارية يُروى في إطارها 35 مناماً، تبدأ كلّها بجملة مركزية هي "رأيت في منامي"، وتربطها وحدة انتمائها إلى عالمٍ سرديٍّ واحدٍ يخوضه نوح عبد الرحيم مع شخصيات تجمعها خصال مشتركة، ترمز لتغيرات الحياة الشخصية والاجتماعية.

من عين الضّلع إلى السوق الداخلي، ومن المدافن الأثرية إلى مقبرة الثليماء، ومن وادي نسَاح إلى جبل الدَّام، ومن شارع الطواحين إلى حي العزيزية؛ يمضي مُلتقطاً عشرات الصور لمناخٍ خاص يجمع الخيال بالسخرية.

ماجد سليمان، أديب سعودي

تَنوَّع أدبهُ بين الشعر والقصة والرواية والمسرحية، وكُتب حول أعماله عدد من الأطروحات العلمية والدراسات النقدية في جامعات محلية وعربية وعالمية.

تصميم الغلاف: ماجد سليمان

رقم الإيداع ١٦٧٢٥ / ١٤٤٥
ردمك ٤ ـ ٩٤٧٧ ـ ٠٤ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨